﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـــطُ دعـــوةِ فـــرعـــونَ باستنكاره أن يـكـون لـموسى وهـــارون ربٌّ سواه

لَمَّا قال سبحانه لموسى وهارون في الآية السَّابقة: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إلى آخِر ما أمَر به، وتضمّن قولُهما أنّ لِمُرسلهما القُدرةَ التَّامَّةَ والعِلْمَ الشَّامِلَ؛ تسبّب عنه سؤالُ فرعونَ عن تعيين ذلك الرّبِّ الّذي له منَ القوّة والقُدْرة أن أرسلَكما[1]، فقال سائلًا مُستنكرًا مُتَهكِّمًا: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؟.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَّبُّكُمَا﴾: (ربّ) أَصْلٌ يَدُلُّ على إِصْلاحِ الشَّيْءِ والقيامِ عليه، فالرَّبُّ: المالِكُ، والخالِقُ، والصَّاحِبُ، والرَّبُّ: المُصْلِحُ لِلشَّيْءِ، واللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ الرَّبُّ؛ لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوالِ خَلْقِه، ويُقالُ: رَبَّ فُلانٌ ضَيْعَتَهُ، إِذا قامَ على إِصْلاحِها[2]، والمراد بالرَّبِّ في الآية: الخالِقُ والسَّيِّدُ بموجب الخالقيَّة، وهو أيضًا: المالِكُ المُتَصَرِّفُ بِالتَّدْبيرِ، ورَعْيِ الرِّفْقِ والرَّحْمَةِ[3].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تساؤلُ فرعونَ عن ربّ موسى وهارون تساؤلُ تكبُّرٍ وتجبُّرٍ

بيّنت هذه الآيةُ أنّ موسَى وهارونَ ﷺ، لَمَّا ذهبا إلى فِرعَونَ وكلَّماه بما أمَرَهما اللّهُ سبحانه، قال فرعون مُجادِلًا على وجه الإنكار: فمَنْ ربُّكما الَّذي تعبُدانِه - يا موسى - وتَزعُمانِ أنَّه أرسَلَكما إليَّ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 293.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رب).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 49.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 79، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 297، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 18.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصلِ هذه الآية عمَّا قبلها:

شِبهُ كمالِ الاتّصال بينَ الجملة وما قبلَها، مُفْصِحٌ عنِ المُرَاد

فُصل قولُه سبحانه: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ عمَّا قبله؛ لأنّه وقع جوابًا عن سؤالٍ مقدّرٍ: فماذا قال فرعون بعد أن أتياهُ، فأمراه وحَذّراه؟ فكان الجواب: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؟ فبينَ الجملة وما قبلَها شِبهُ كمالِ اتّصال.

دلالة التّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾:

الإيجاز بالحذف، مُؤدٍّ للمعنى بأقلّ لفظ

عطفت الفاءُ جملةَ السّؤالِ على محذوفٍ قبلَها، تقديرُه: (فأَتياهُ فقالا له ما أُمِرا به، فقال): ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾؟، ففي الآية حذفُ جُمَلٍ دلّ عليها السّياق؛ قصدًا للإيجاز[1]، فالفاء لا تدخل في أوّل الكلام، فكان في ذلك دلالةٌ على سؤالٍ مُقَدّرٍ محذوفٍ، تقديرُه: (فقال مجيبًا لهما): ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾؟[2].

دلالة تثنيةِ خطابِ فرعونَ لهما، وتخصيصِ موسى بالنّداء:

أصالةُ موسى في الرّسالة، وتبعيّةُ هارونَ له

وجَّهَ فرعونُ الخِطاب إليهما بالضّمير المُشْتَرك، أي: لموسى وهارون ﷺ، ثمّ خَصّ موسى بالإقبال عليه بالنّداء؛ لِعِلْمه بأنّ موسى هو الأصلُ بالرّسالة، وأنّ هارونَ تابعٌ له، وهذا وإن لم يحتوِ عليه كلامُهما، فقد تعيّن أن يكون فرعونُ عَلِمَه مِن كيفيّة دخولِهما عليه ومُخاطبتِه، ولأنّ موسى كان معروفًا في بِلاط فرعون؛ لأنّه ربَّاه، كما دلّ عليه قولُه له في آية سورة الشّعراء: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشّعراء: 18]، ولعلّ موسى هو الّذي تولّى الكلامَ، وهارونُ يُصَدّقُه بالقول أو بالإشارة[3]؛ لأنّ موسى هو المُتَكلّم، فما كانا يتكلّمان معًا، بل كان يتكلّم موسى ويوافِقُه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 231.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 146.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 231.

هارونُ[1]، وقيل: إنّه أعرض عن مخاطبة هارونَ ﷺ لكونه أفصحَ، فلعَلّه قد حملَهُ "خبثُهُ ولُؤْمُه على استدعاء كلامِ موسى، دونَ كلام أخيه؛ لما عُرِف من فصاحة هارونَ، والرُّتَّة[2] في لسان موسى، ويدلّ عليه قولُه تعالى: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزّخرف: 52][3].

دلالة الاستفهام، في سياق الآية:

الاستفهام المغالِط هو الّذي يكون غرضُه الإنكارُ والتّهكُّم

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ تهكُّميٌّ إنكاريٌّ[4]، أو تعجُّبيٌّ من قبل فرعون[5]، قصد به السّخريّةَ من موسى وهارون ﷺ، في دعواهما أنّ هنالك ربًّا غيره.

سِرّ التّعبير بـ ﴿فَمَن﴾ هنا، وفي الشّعراء بـ ﴿وَمَا﴾:

تختلف صيغةُ السّؤال لاختلاف المُتعلّق عنِ الكيفيّة أو عنِ الماهيّة

جاء التّعبير عن سؤال فرعون لموسى وهارون عن ربّهما في هذه السّورة بقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾، وفي سورة الشّعراء قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشّعراء: 23]؛ وذلك لاختلاف متعلّق السّؤال، ففي سورة طه كان عن الكيفيّة؛ لذلك جاء بـ ﴿فَمَن﴾؛ أمّا في سورة الشّعراء فجاء بـ ﴿وَمَا﴾ [الشعراء: 23]؛ لأنّه سؤالٌ عنِ الماهيّة، وهما سؤالان مختلفان والواقعةُ واحدة.

والأقرب أن يقال: سؤال ﴿فَمَن﴾ كان مقدّمًا على سؤال (ما)؛ لأنّه كان يقول: إنّي أنا الله، والرّب، فقال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، فلمّا أقام موسى الدّلالة على الوجود، وعَرَف أنّه لا يمكنُه أن يقاومَه في هذا المقام لظهوره وجَلائِه، عدلَ إلى المقام الثّاني، وهو طلبُ الماهيّة[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4732.
(2) الرُّتَّة: العجلة في الكلام، وقلّة الإبانة، يُنظر: ابن سيده، المحكم: (رتت).
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 67.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 308.
(5) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 57.
(6) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 57.

سِرّ استفهام فرعون عنِ الرّبوبيّة دونَ الأُلوهيّة:

الإشعار بأنّ فرعون كان عالماً بالإله، ولكنّه يَجْحَد

في استفهام فرعون عنِ الرّبوبية دونَ الألوهيّة في قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، إشعارٌ بأنّه كان عالمًا باللّه؛ لأنّه تركَ المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره، وشرعَ في المقام الصّعب؛ لأنّ العِلْم بماهيّة اللّه تعالى غيرُ حاصِلٍ للبشر، فلذلك قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، ولم يقل: (فمَن إلهكما؟)؛ لأنّه أثبتَ نفسَه ربًّا في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشّعراء: 18]، فذكر ذلك على سبيل التّعجّب، كأنّه قال له: أنا ربّكَ، فلِمَ تَدَّعي ربًّا آخَرَ؟[1].

دلالة ضمير المثنّى ﴿رَّبُّكُمَا﴾، والإفراد لموسى:

الخطاب كان للرّسولَين الكريمَين، فخوطبا في سياقٍ واحدٍ

دلّت إضافةُ الضّمير إليهما في قوله: ﴿رَّبُّكُمَا﴾ على أنّ الخطاب كان متوجّهًا إلى موسى وهارونَ ﷺ، وأنّ إفراده بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ فلِغَرضٍ آخر، كأن يكون قد فهم أنّ موسى ﷺ هو الأصل، أو لسبق معرفته به، أو هربًا من سؤال هارونَ ﷺ؛ لأنّه كان أفصحَ لسانًا، أو لأنّ موسى ﷺ هو المأمورُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ لأنّه هو الأصل.

دلالة ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾:

اعتراضُ فرعونَ على الرّبوبيّة، وذلك بحكاية قولهما

أعرض فرعونُ عن أن يقول: (فَمَنْ رَبّي)؟ إلى قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾؟ إعراضًا عنِ الاعتراف بالرّبوبيّة، ولو بحكاية قولهما؛ لئَلّا يقعَ ذلك في سمع أتباعِه وقومه، فيحسبوا أنّه متردّدٌ في معرفة ربّه، أو أنّه اعترف بأنّ له ربًّا[2]، وللدّلالة على غاية طغيانه، وشِدّة عُتوّه.

دلالة قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ في آخر الآية:

دلّ قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، على أنّ فرعونَ أدركَ أنّه يخاطب شخصًا

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 57.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 231.

له مكانتُه، وأصبح أهلًا للتّخاطُب والحوار في المجتمع، فكأنّه في مقابلة شخصٍ ينازعُه السّيادةَ، وليس كما كان تصوّرُه عن موسى الوليدِ الّذي ربّيَ في قَصْره.

دلالـــة سيـاق الـخـطـاب على وعـــي فـرعـون بـــقـــوّة مـوسى ومكانته

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»